للشاعر الفرنسي جاك بريفير

أوبرا القمر



سلسلة الأفق الجديد

أوبرا القمر

للشاعر الفرنسي جاك بريڤير

ترجمة: فؤاد حداد • رسوم: سعد عبد الوهاب



الطبعة الاولى مارس/اذار ١٩٨٢

دار الفتى العربي

كان ياما كان
ولدٌ صغيرٌ لم يكن مرِحا ، لاتغمر الشمس
المكان الذى يسكن فيه .

وهو لم يعرف والديه أبداً ، وكان يعيش عند أُناسٍ ليسوا
بالطيبين ولا الأشرار لديهم مشاغلُ أخرى
وليس لديهم متسعٌ من الوقت .

كان يا ماكان في مرة أخرى
ولد صغير يكثِر من الإبتسام في الليل حين ينام .

ولكن كان الولدُ الصغيرُ نفسهُ واسمه ميشيل موران ،
الولد الصغير غلامُ القمرِ ، فهو مسرورٌ كلما لاحَ القمر

وكان يقول : إنني أعرفه .
نحن الاثنين صديقان وإن لم يأت ذات مساء ، يكفي
أن أغمِضَ عينيَّ ، فأراه في سواد الليل .

وهو يطلع دائما من أجلي ، وعندما أغفو تنفتح عيناي
باتساع ، وأتنزه معه ، فيريني أجملَ الأشياء في منامي .
– أي شيء مثلا ؟
هكذا يسأله الناسُ ، فيجيبهم ميشيل موران :
– الشمس !
وينام وهو يبتسم .
وكان الناس يقولون : هذا ولدٌ طائشٌ ولا شك .



فهو سرحان دائما ، فيجب أن نضع في رأسه أساسا متيناً لكي يَتَّزِن .

ولما كانوا يتصايحون ، كان ميشيل موران يسمعهم ، فيستيقظ من نومه ، ويُلقي عليهم بعضَ الألغاز :

أيهما أثقل :

كيلو من الأساس المتين في الرأس ،

أم

كيلو من الريش في الوسادة تحت رأس الإنسان عندما يحلُم ؟

ولماذا تقولون إن خيالي يسرح في القمر ؟

في هذه النواحي لايقال إن الخيالَ يسرحُ في الأرض !

لا يسرح في الأرض أحدٌ إلا عمال المناجم الذين يلتقطون لغيرهم ثمارَ الكستناء من فوق نار الشتاء .

وكان الناس لايجيبون أبدا .

أو كانوا يغيّرون مجرى الحديث .

– ومالذي تراه أيضا في القمر ، أو إذا شئت ، فوق القمر ؟

– أشياء ، وأشياء ، وثَمَّةَ أشخاصٌ كثيراً مايُضحكونني ، وفي بعض الأحيان يُحزنونني قليلا دون أن يحمِلونى على البكاء أبدا .

أشياء وأشخاص أجد معهم بهجتي وسعادتي بحق .

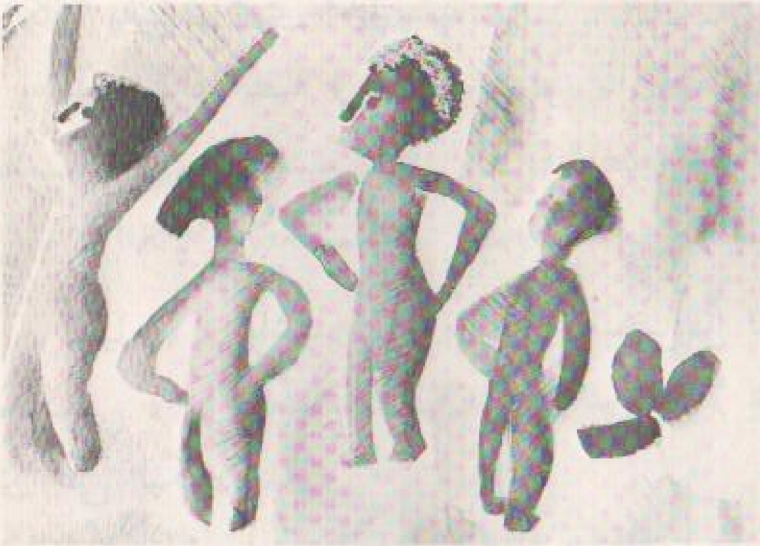
– وعلى سبيل المثال ؟

– إني أرى أبي وأمي من جديد .

– ولكن كيف يمكن أن تراهما من جديد
وأنت لم تبصرهما أبدا ؟

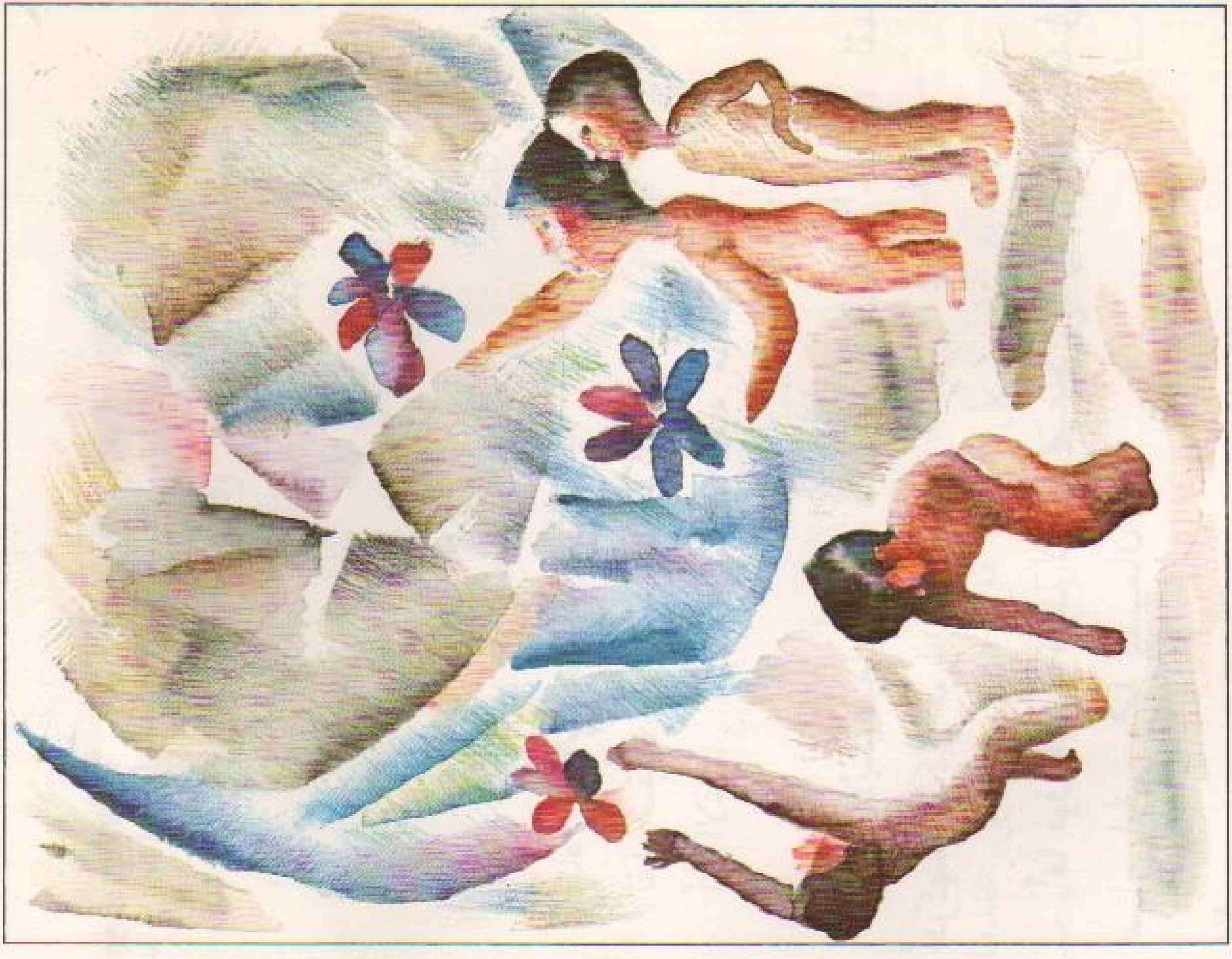
– لقد تحققت منهما فى الحال

– كيف يمكن أن تتحقق منهما وأنت لم تعرفهما أبدا ؟



– هما شِبْهي ، وهما في مثل سنّي ، وكان أبي صبيَّ القمر ، وأمي من صبايا الشمس

وذاتَ يومٍ بينما كانا يرقصانِ معا ، سقطا على الأرض ، بالقرب من جدول أزرقَ يضحك ويغني مثلهما .
وغنى معه أبي وأمي من فرط السعادة . ورقص الجدول معهما . ولكن أتى البؤس ذات يومٍ ، وذهب الجدول الأزرق .



غاب الجدول عن أنظار أبي وأمي .
وتاه كلاهما وضاعَ الجميع .
لقد سقطا في البؤس ، وتركاني أسقط ،
أنا آلاخر . هذا الحديث سمعته منكم .

كانا لايستطيعانِ غيرَ ذلك ، ولايملكانِ حيلةً ، لقد أدركهما الكِبَرُ فورا .

أما فوق القمر فهما لايزالان صغيرين وظريفين ، ويقولان لي صباح الخيرِ وهما يبتسمان .

وكان الناس يبتسمون أيضا ، لأنهم ليسوا أشرارا ، ولأن مايقوله ميشيل يسلِّيهم ويملأ وقتَ الفراغ .

– وماذا رأيت أيضا ؟

– الأوبرا .

– أوبرا باريس ؟

– بالتأكيد لا

وهل هذا سؤال !

– أية أوبرا إذن ؟

– أوبرا القمر طبعا .

– وكيف هي ؟

– لاتتشابه أبدا ، بل تتغير كلَّ حين ، وحتى عندما تتشابهُ تكون أجملَ مما كانت ، وفي أوبرا القمر لايوجد ستار .

وكان الناس يقولون : نحن لانسألك عن شيء لايوجَد ، ولكنْ نسألُكَ عن أشياءَ توجد .

— كل شيء موجود في أوبرا القمر ، مثل دور الأوبرا الأخرى التي حكَيْتُم لي عنها .

ولكن ماهناك أجمل جدا .

لا يمكن أن تتخيلوا .

لا توجد ألواج ولا كراسيّ ، ولااستراحاتٌ ولامقاصير ، ولا دهاليز ولا أروقة كما حكيتم لي .

ولا توجد نجفة كبيرة ، بل تأتي الإضاءة من الكواكب الصغيرة . إن النجوم والبروق هي التي تصنع الكهرباء .

وكل الناس فوق المسرح يرقصون ويغنون .





وحتى عندما لا يكون القمر بدراً كاملًا تظل الأوبرا كاملة على الدوام ، ويتورد القمر عندما تمتلئ أرجاؤه بالورد من شباب الراقصين والراقصات .

وكل أيامِهم أعيادُ الرابع عشر من يولية : والموسيقا تتنزه في كل أحياء القمر .

وقد شاهدت على البحر خرافا ترقص وتغني فوق الأمواج ، في جلابيب الصوف البيضاء .

وهناك لايَهيج البحر أبدا ، ولكن يتظاهر بالهيجان .

– وهل كانت الخرفان البيضُ الصغار تُغنى أغنية « في ضوء القمر » ؟

– كلا فهذه أغنية حُلوة .

أغنية مثل « السماء تمطر ياراعية الغنم » ؟

– ولكنها من أغاني الأرض ، من أغاني هذه النواحي .

– فماذا يغنون إذن ؟

– غناؤهم ليس بالشيء العسير .

وكان ميشيل موران يغني ، كان يغني :

فى ضوء الأرض
كان يغنى
الجو جميل ياراعية الغنم
كان يغنى





الجو جميل ياراعي
جميل مثل كلِّ شيء في كل مكان
وكل الناس سعداء مثل كل شيء .
اليوم أصبح الأمس ،
والغد حاضر هُنا أيضا .
اخرجوا جميعا من الكوخ .
الخرفان السود والجِمال الشهب
مع الفيل والحمار ،
والثعلب والفأر .
الجو جميل مثل كل شيء يا راعية الغنم .
الجو جميل مثل كل شيء في كل مكان .

والهلال الأبيض
في عرض النهار الساطع
يستحم كل صباح
في سواد الليل

ويقول للشفق : مساء الخير
وللبرق الخاطف : سفر سعيد .
والعقارب في الساعة الدقاقة
تجري بالوقت الجميل ليلاً ونهارا .
وفي بعض الأحيان كان الناس يغنون في الوقت نفسِه ، لأن ذلك يسليهم .
ويغيِّر لهم وجهَ الحياةِ قليلا .
ولكن ميشيل موران كان يفتقد أغنيته .
كأن الناس لايغنون لحناً من الألحان ، ولكن يتلون درسا محفوظا .

لاشك أنهم كانوا يبذلون مافي وسعهم
ولكنَّ أصواتَهم لم تكن تخلو من أزيز
فكأنهم يخفقون العِجّة
بلا شيءٍ إلا
قشر البيض .
وكان ميشيل موران يقول لهم :

لاداعي لأن تصاحبوني في الغناء .
دعوني أنم دون تهنينة ،
دعوني أعُدْ إلى القمر .



سأرجع إليكم غدا في الصباح ،
وسأركب نيزكاً جويا لكي أسرع .

– أى شيء هذا ؟

– كوكب صغير يؤدى أعمال سيارات الأجرة .

– لابد أن أسعارَهُ باهظةٌ .

– كلَّا

– هو مثل المواصلة التي تجول في المجرة ، يمكن أن تصعد إليه ، وأن تنزل منه وهو يسير مجانا

– ولكن من يفعل هذا مُعَرَّضٌ للأذى ؟

– كلا فمن يقع هناك يَثِبُ من جديد ولايرتطم ! أوه ، دعوني أرحل عن الليل .

دعوني أعد إلى القمر .
إن الشمسَ ستصاحبني
فقد شعرت بالبرد طوالَ النهار .

– ألم تكن المدرسةُ مدَفَّأة ؟
– تدفئة قليلة أو لا تكاد .
ولكنني شعرت بالبرد أساسا في رأسي .
فقد اعتراني كثيرٌ من الملل .
إذ كان هناك حساب ذهني وحروب بين الأديان .
إني أفضِّل الرابع عشر من يولية ، عندما تفُتح أبواب السجون على مصراعيها ، وتضاء الفوانيس .
وطوال الليل ترقص كل الشوارع ،
ويضيء القمر أغانيها
– وهل يغني القمر أيضا ؟
– كلا .
بل هو يصمت ويفكر

– فيمَ ؟

– في أن يعكس لنا ضوء الشمس . وكلما أمعن القمر في التفكير

ازداد نوره لمعانا بهذا النور البهيج الجميل .

– وكل مايلمع فهو بالتأكيد من ذهب .

– كلا لاشيء من ذهب ،

– وكل شيء يلمع ببساطة .

– من الواضح أنهم لايتعبون جدا ، وأنهم لايعملون كثيراً .

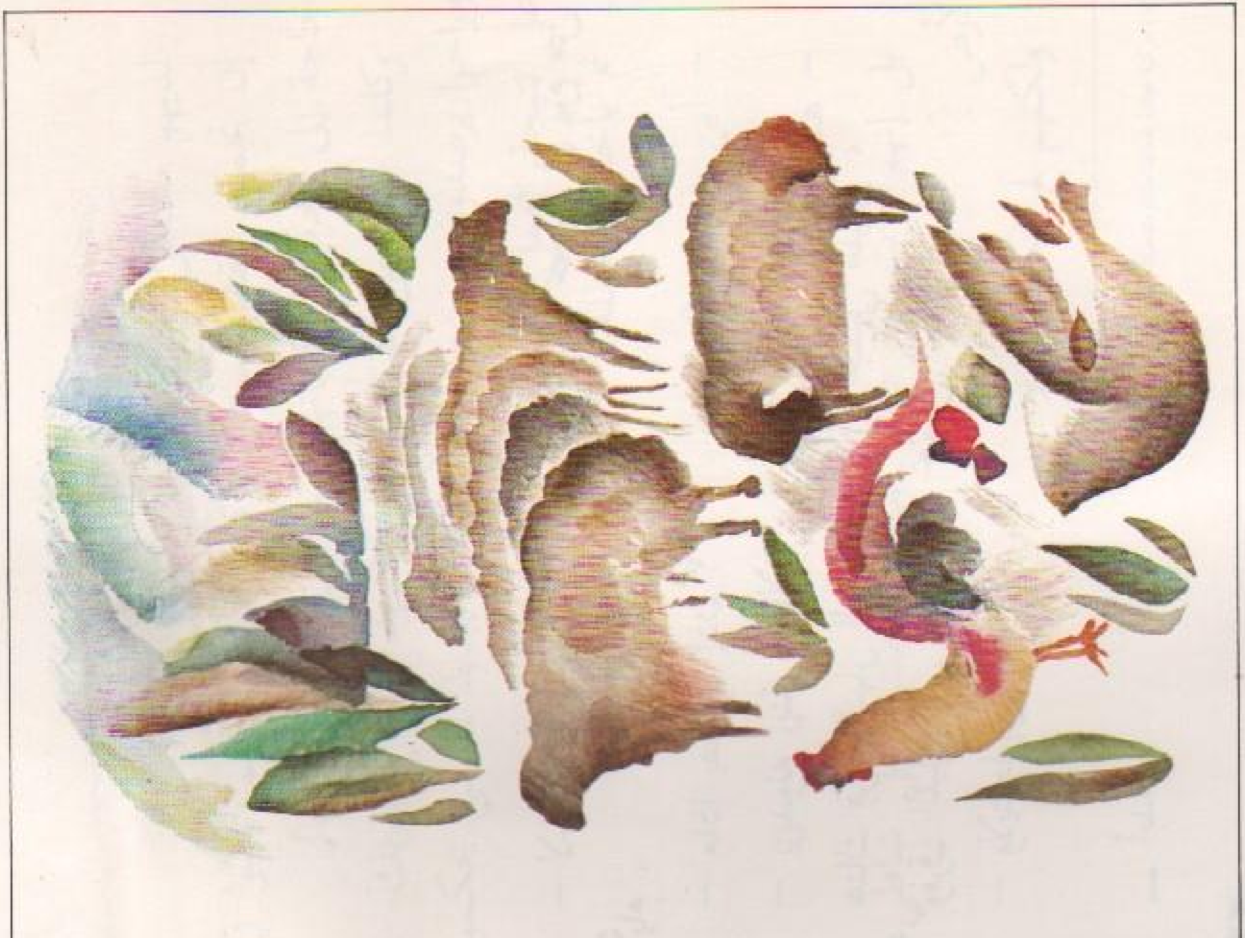
– لايتعب أحد هناك ، مع أن الجميع يعملون طوالَ الوقت .

ولكن لاينشغل الجميع في كل مكان وفي الوقت نفسه .

– وماذا يصنعون ؟

– القمر الجديد .

– أي أنهم يجددونه أم ماذا ؟ .



– لاحاجةَ إلى ذلك . فلم يكن القمر عجوزاً في يوم من الأيام .

– ماذا يفعلون إذن ؟

– يزيدونه زينة وجمالا

هناك فِرَقُ النهار التي تعمل في تجميل الليالى ،

وفرق الليل التى تعمل فى تجميل الأيام ،

– ولايتحاربون أبدا ؟

ـــ أبداً !

لديهم مشاغل أخرى ،

إن تجميل القمر يستغرق كلَّ وقتِهم ، وهم ليسوا في حاجة إلى الحرب ، كما أنهم ليسوا في حاجة إلى مال .

وكلما فرغوا من تَهْيِئَةِ القمر الجديدِ ركبوا التليفريك(*) ، وراحوا يرصدون من بعيد هذا القمر الجديد ، لكي يحكموا على نتيجة العمل الذي أُحسِنَ إنجازُه .

ثم يأخذون عطلة .

– أين يذهبون ؟

– هنا وهناك حيثما يروق لهم .

بل إنهم ذات مرة ذهبوا لقضاء عطلتهم على شاطيء الأرض .

ولكنهم لم يمكثوا طويلا .

(*) مركبة هوائية يحملها سلك وتتحرك بالكهرباء بين الجبال .

– الأرض لم تعجبهم . ؟

– بلى . قد أحبوا
الزهورَ وألوانَ البحر وغناءَ العصافير وشَدْوَ الأطفال .
كان هذا جديداً عليهم
وكانوا في غاية السعادة .

– فلماذا رحلوا ؟

– بسبب الضجيج .

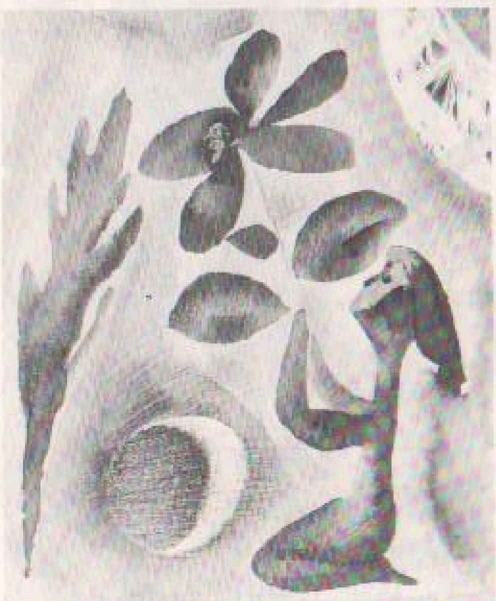
– أي ضجيج ؟

– ضجيج الآلات التي تصنع الدمار
والآلات التي تصنع الحرب
والآلات التى تقتل أطفالَ الأرض .



ويغفو ميشيل موران ،
وهو يردد بهدوء لطيف .
– لقد أنشدوا وهم ذاهبون :

كان شيئا جميلا ، ولكن رَحَلْنا ،
وسوف نعود
عندما تَهلُّ علينا الأرضُ الجديدة .



دار الفتى العربي للنشر والتوزيع

كورنيش المزرعة بناية الركن ص.ب ١٤/٥٢٣٦ بيروت - لبنان

سلسلة الأفق الجديد

تضم مجموعة من أجمل القصص الخيالية المثيرة. بعد قراءة قصص هذه السلسلة نجد أننا قد أحببنا أبطالها رغم معرفتنا أنهم ليسوا أبطالاً من عالم الواقع.

صدر من السلسلة

- القنديل الصغير قصة كتبها ورسمها غسان كنفاني
- حارسة الشيخ قصة زين العابدين الحسيني
- السمكة الصغيرة السوداء قصة الكاتب الأيراني صمد بهرنجي
- البلح الأحمر قصة الدكتور محجوب عمر
- سم الضباع قصة كتبها بول أيلوار
- أوبرا القمر للشاعر الفرنسي جاك بريفير
- لتموت الحياة قصة كتبها فؤاد حداد



طباعة: مؤسسة دار الريحاني . هاتف ٨١١٩٨٨ . ص.ب ٣٥٧٨ / ١٣